AIN SHAMS UNIVERSITY
مركز بحوث الشرق الأوسط
MIDDLE EAST RESEARCH CENTER
MERC

AIN SHAMS UNIVERSITY

مجلة
بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحَكَّمَة
(مُعتمدة) شهريـًا

العدد مائة وثلاثة
(سبتمبر 2024)

يصدرها
مركز بحوث
الشرق الأوسط

السنة الخمسون
تأسست عام 1974

الترقيم الدولي: (2536-9504)
الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

ISSN 2536-9504

مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحكَّمة
متخصصة
في شؤون الشرق الأوسط

مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (ARCI) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت Clarivate الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (ARCIf) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

العدد مائة وثلاثة سبتمبر 2024

تصدر شهريًّا

السنة الخمسون - تأسست عام 1974

المطبعة
مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط
(مجلة مُعتمدة) دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة
(اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية - جامعة عين شمس

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. غادة فاروق

نائب رئيس الجامعة لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير **د. حاتم العبد**

مدير مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير

أ.د. السيد عبدالخالق، وزير التعليم العالي الأسبق، مصر

أ.د. أحمد بهاء الدين خيري، نائب وزير التعليم العالي الأسبق، مصر ؛

أ.د. محمد حسام لطفي، جامعة بني سويف، مصر ؛

أ.د. سعيد المصري، جامعة القاهرة، مصر ؛

أ.د. سوزان القليني، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. ماهر جميل أبوخوات، عميد كلية الحقوق، جامعة كفرالشيخ، مصر ؛

أ.د. أشرف مؤنس، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. حسام طنطاوي، عميد كلية الآثار، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. محمد إبراهيم الشافعي، وكيل كلية الحقوق، جامعة عين شمس، مصر

أ.د. تامر عبدالمنعم راضي، جامعة عين شمس، مصر ؛

أ.د. هاجر قلديش، جامعة قرطاج، تونس ؛

Prof. Petr MUZNY، جامعة جنيف، سويسرا ؛

Prof. Gabrielle KAUFMANN-KOHLER، جامعة جنيف، سويسرا ؛

Prof. Farah SAFI، جامعة كليرمون أوفيرني، فرنسا؛

إشراف إداري

أ/ أماني جرجس

أمين المركز

إشراف فني

د/ امل حسن

رئيس وحدة التخطيط و المتابعة

سكرتارية التحرير

أ/ ناهد مبارز	رئيس قسم النشر
أ/ راندا نوار	قسم النشر
أ/ زينب أحمد	قسم النشر
أ/ شيماء بكر	قسم النشر

المحرر الفني

أ/ رشا عاطف رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني للمجلة

وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية

وحدة التدقيق اللغوي - كلية الآداب - جامعة عين شمس

تصميم الغلاف أ/ أحمد محسن - مطبعة الجامعة

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: د. حاتم العبد، رئيس التحرير merc.director@asu.edu.eg

• وسائل التواصل: البريد الإلكتروني للمجلة: technical.supp.mercj2022@gmail.com

البريد الإلكتروني لوحدة النشر: merc.pub@asu.edu.eg

جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566

(وحدة النشر - وحدة الدعم الفني) موبايل/ واتساب: 01555343797 (2+)

ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg

ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

الرؤيـــة

السعي لتحقيق الريادة في النشر العلمي المتميز في المحتوى والمضمون والتأثير والمرجعية في مجالات منطقة الشرق الأوسط وأقطاره .

الرسالـــة

نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة في مجالات الشرق الأوسط وأقطاره في مجالات اختصاص المجلة وفق المعايير والقواعد المهنية العالمية المعمول بها في المجلات المُحَكَّمَة دوليًّا.

الأهـــداف

- نشر البحوث العلمية الأصيلة والرصينة والمبتكرة .
- إتاحة المجال أمام العلماء والباحثين في مجالات اختصاص المجلة في التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون وعلم النفس واللغة العربية وآدابها واللغة الانجليزية وآدابها ، على المستوى المحلى والإقليمي والعالمي لنشر بحوثهم وإنتاجهم العلمي .
- نشر أبحاث كبار الأساتذة وأبحاث الترقية للسادة الأساتذة المساعدين والسادة المدرسين بمختلف الجامعات المصرية والعربية والأجنبية ٠
- تشجيع ونشر مختلف البحوث المتعلقة بالدراسات المستقبلية والشرق الأوسط وأقطاره ٠
- الإسهام في تنمية مجتمع المعرفة في مجالات اختصاص المجلة من خلال نشر البحوث العلمية الرصينة والمتميزة .

مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير **د. حاتم العبد**

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

• أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا	رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
• أ.د. أحمد الشربيني	عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
• أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق	عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
• أ.د. السيد فليفل	عميد كلية الدراسات الأفريقية العليا الأسبق - جامعة القاهرة - مصر
• أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر	أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
أ.د. أيمن فؤاد سيد	رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
• أ.د. جمال شفيق أحمد عامر	كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
• أ.د. حمدي عبد الرحمن	عميد كلية الحقوق الأسبق - جامعة عين شمس - مصر
• أ.د. حنان كامل متولي	(قائم بعمل) عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
• أ.د. صالح حسن المسلوت	أستاذ التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية - فرع الزقازيق جامعة الأزهر - مصر وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
• أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة	كلية الآداب - جامعة المنيا، ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
• أ.د. عاصم الدسوقي	عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
• أ.د. عبد الحميد شلبي	كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
• أ.د. عفاف سيد صبره	كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
• أ.د. عفيفي محمود إبراهيم	كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
• أ.د. فتحي الشرقاوي	نائب رئيس جامعة عين شمس الأسبق - مصر
• أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز	عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
أ.د. محمد السعيد أحمد	كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
• لواء / محمد عبد المقصود	رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
• أ.د. محمد مؤنس عوض	كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
• أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر	كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
• أ.د. مصطفى محمد البغدادي	كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
• أ.د. نبيل السيد الطوخي	رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي	كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

شروط النشر بالمجلة

- تُعنى المجلة بنشر البحوث المهتمة بمجالات العلوم الإنسانية والأدبية ؛
- يعتمد النشر على رأي اثنين من المحكمين المتخصصين ويتم التحكيم إلكترونيًّا ؛
- تقبل البحوث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، **وترسل إلى موقع المجلة على بنك المعرفة المصري ويرفق مع البحث ملف بيانات الباحث يحتوي على عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية واسم الباحث والتايتل والانتماء المؤسسي باللغتين العربية والإنجليزية، ورقم واتساب، وإيميل الباحث الذي تم التسجيل به على موقع المجلة ؛**
- يشار إلى أن **الهوامش والمراجع في نهاية البحث وليست أسفل الصفحة ؛**
- يكتب الباحث **ملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية** للبحث **صفحة واحدة فقط** لكل ملخص ؛
- بالنسبة للبحث باللغة العربية يكتب على برنامج "**word**" ونمط الخط باللغة العربية **"Simplified Arabic"** وحجم الخط **14** ولا يزيد عدد الأسطر في الصفحة الواحدة عن **25** سطر والهوامش والمراجع خط **Simplified Arabic** حجم الخط 12 ؛
- بالنسبة للبحث باللغة الإنجليزية يكتب على برنامج **word** ونمط الخط **Times New Roman** وحجم الخط **13** ولا يزيد عدد الأسطر عن 25 سطر في الصفحة الواحدة والهوامش والمراجع خط **Times New Roman** حجم الخط 11 ؛
- (**Paper**) مقاس الورق (**B5**) 17.6 × 25 سم، (Margins) الهوامش **2.3 سم** يمينًا ويسارًا، **2 سم** أعلى وأسفل الصفحة، ليصبح مقاس البحث فعلي **(الكلام)** 13×21 سم. (Layout) والنسق: (Header) الرأس 1.25 سم، (Footer) تذييل 2.5 سم ؛
- **مواصفات الفقرة للبحث :** بداية الفقرة First Line = 1.27سم، قبل النص= 0.00، بعد النص = 0.00)، تباعد قبل الفقرة = (6pt) تباعد بعد الفقرة = (0pt)، تباعد الفقرات (مفرد single) ؛
- **مواصفات الفقرة للهوامش والمراجع :** يوضع الرقم بين قوسين هلالي مثل : (1)، بداية الفقرة Hanging = 0.6 سم، قبل النص=0.00، بعد النص = 0.00)، تباعد قبل الفقرة = 0.00 تباعد بعد الفقرة = 0.00، تباعد الفقرات (مفرد single) ؛
- **الجداول والأشكال:** يتم وضع الجداول والأشكال إما في صفحات منفصلة أو وسط النص وفقًا لرؤية الباحث، على أن يكون عرض الجدول أو الشكل لا يزيد عن 13.5 سم بأي حال من الأحوال ؛
- يتم التحقق من صحة الإملاء **على مسئولية الباحث** لتفادي الأخطاء في المصطلحات الفنية ؛
- مدة التحكيم 15 يوم على الأكثر، مدة تعديل البحث بعد التحكيم 15 يوم على الأكثر ؛
- يخضع تسلسل نشر البحوث في أعداد المجلة حسب ما تراه هيئة التحرير من ضرورات علمية وفنية ؛
- المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ؛
- تعبر البحوث عن آراء أصحابها وليس عن رأي رئيس التحرير وهيئة التحرير ؛
- **رسوم التحكيم للمصريين 650 جنيه، ولغير المصريين 155 دولار ؛**
- **رسوم النشر للصفحة الواحدة للمصريين 25 جنيه، وغير المصريين 12 دولار ؛**
- الباحث المصري يسدد الرسوم بالجنيه المصري (بالفيزا) بمقر المركز (المقيم بالقاهرة)، أو على حساب حكومي رقم : **(9/450/80772/8) بنك مصر** (المقيم خارج القاهرة) ؛
- الباحث غير المصري يسدد الرسوم بالدولار على حساب حكومي رقم : **(EG710001000100000004082175917)** (**البنك العربي الأفريقي**) ؛
- **استلام إفادة قبول نشر البحث في خلال 15 يوم من تاريخ سداد رسوم النشر مع ضرورة رفع إيصالات السداد على موقع المجلة ؛**
- **المراسلات :** توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: merc.director@asu.edu.eg

السيد الدكتور/ مدير مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية، ورئيس تحرير المجلة
جامعة عين شمس– العباسية– القاهرة – ج. م.ع (ص. ب 11566)
للتواصل والاستفسار عن كل ما يخص الموقع : محمول / واتساب: **01555343797 (2+)**
(وحدة النشر merc.pub@asu.edu.eg) (وحدة الدعم الفني technical.supp.mercj2022@gmail.com)

- ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: **www.mercj.journals.ekb.eg**

ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر.

محتويات العدد 103

عنوان البحث الصفحة

- **دراسات اللغة العربية ARABIC LANGUAGE STUDIES**

1. **الحِجاج في مسرح سلطان القاسمي "نماذج مختارة" 3-28**
فاطمة مصبح الظاهري

2. **مِنْ مَظاهِرِ المُناسَبَةِ القُرآنيَّة في سُورَةِ البَقَرَة «دِراسَة نَحْويَّة دِلالِيَّة». 29-62**
إبراهيم زكريا أحمد أمين

3. **الشريعة والحقيقة في ضوء الهرمنيوطيقا والتأويل (التجاني نموذجًا) 63-90**
فاطمة السيد محمد

4. **وسائل الحجاج اللغوية في مقالات الدكتور زكي نجيب محمود..... 91-116**
سهام علي سعودي

- **دراسات اللغات الشرقية ORIENTAL LANGUAGES STUDIES**

5. **السرد التاريخي بوصفه مظهرًا ملحميًّا..... 119-146**
شاهيناز مدحت نافع أمين

- **الدراسات الاجتماعية SOCIAL STUDEIES**

6. **استخدام الألعاب الإلكترونية وعلاقته بالسلوك العدواني لدى الأطفال؛ 149-196**
دراسة ميدانية على عينة من أولياء الأمور في مدينة المنصورة .....
أحمد أنور العدل

- **دراسات فلسفية PHILOSOPHICAL STUDIES**

7. **الحب الإلهى والرمز الصوفى عند ابن الفارض وجلال الدين الرومى... 199-250**
آيه سالم إبراهيم محمد

8. **سورة قريش- دراسة تحليلية وموضوعية..... 251-280**
سعد محمد حسن الزبيدي

9. **مقاصد الابتلاء في العقيدة الإسلامية 308-281**
أحمد صباح شهاب أحمد القيسي

- **الدراسات التاريخية HISTORICAL STUDIES**

10. **مراكز القوى السياسية في مصر (1952- 1971م) في الفن والأدب... 432-311**
يحيى حسن حسني عمر

- **الدراسات الأثرية ARCHAEOLOGICAL STUDIES**

11. **تجسيد البصر وتجسيد السمع «إري وسچم» في العقيدة المصرية القديمة 468-435**
أمينة مهدي محمد نصر

- **دراسات الدراما والنقد المسرحي DRAMA&THEATRICAL CRITICISM STUDIES**

12. **تمثيلات الهجنة في مسرحية (ليلة نيناجاوا الثانية عشر) 522-471**
هشام عز الدين مجيد

افتتاحية العدد 103

يسر مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية صدور العدد **(103 – سبتمبر 2024)** من مجلة المركز «**مجلة بحوث الشرق الأوسط**». هذه المجلة العريقة التي مر على صدورها حوالي 50 عامًا في خدمة البحث العلمي، ويصدر هذا العدد وهو يحمل بين دافتيه عدة دراسات متخصصة: (دراسات اللغة العربية، دراسات اللغات الشرقية، دراسات اجتماعية، دراسات فلسفية، دراسات تاريخية، أثرية، دراسات الدراما والنقد المسرحي) ويعد البحث العلمي **Research** Scientific حجر الزاوية والركيزة الأساسية في الارتقاء بالمجتمعات لكي تكون في مصاف الدول المتقدمة.

ولذا تَعتَبر الجامعات أن البحث العلمي من أهم أولوياتها لكي تقود مسيرة التطوير والتحديث عن طريق البحث العلمي في المجالات كافة.

ولذا تهدف مجلة بحوث الشرق الأوسط إلى نشر البحوث العلمية الرصينة والمبتكرة في مختلف مجالات الآداب والعلوم الإنسانية واللغات التي تخدم المعرفة الإنسانية.

والمجلة تطبق معايير النشر العلمي المعتمدة من بنك المعرفة المصري وأكاديمية البحث العلمي، مما جعل الباحثين يتسابقون من كافة الجامعات المصرية ومن الجامعات العربية للنشر في المجلة.

وتحرص المجلة على انتقاء الأبحاث العلمية الجادة والرصينة والمبتكرة للنشر في المجلة كإضافة للمكتبة العلمية وتكون دائمًا في مقدمة المجلات العلمية المماثلة. ولذا نعد بالاستمرارية من أجل مزيد من الإبداع والتميز العلمي.

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

د. حاتم العبد

الشريعة والحقيقة

في ضوء الهرمنيوطيقا والتأويل

(التجاني نموذجًا)

فاطمة السيد محمد

قسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة عين شمس

"As-Shari'ah" and "Al-Haqiqah" in the light of Hermeneutique and Interpretation.

(At-Tijaniyy Model)

Fatima Alsayed Mohammad

Department of Arabic Language

Faculty of Arts - Ain Shams University

arabic.sufi@gmail.com

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

إن الشريعة والحقيقة هما جناحان يطير بهما السالك إلى الله تعالى، تربطهما علاقة تكاملية فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فبهما معًا يسير المريد طريقه في الحياة الروحية؛ ولهذا جاء هذا البحث بيانًا لماهية الشريعة والحقيقة والعلاقة بينهما، ووددت أيضًا من خلال هذا البحث أن أجيب عن أسئلة كثيرة يقوم عليها ديننا الإسلامي مثل: ما الشريعة؟ وما الحقيقة؟ ما سر الخلاف بين بعض الفقهاء والمتصوفة؟ هل حقًّا هناك تضاد بين الشريعة والحقيقة؟ وهل يصل السالك بالشريعة وحدها أم بالحقيقة وحدها أم بهما معًا؟ من هو الشيخ أحمد التجاني؟ وما التراث الذي خلَّفه؟ ما الشريعة عنده ودورها في تصوفه؟ كيف كانت الحقيقة هي شغله الشاغل؟

أسئلة عدة سيتوصل البحث من خلال إجاباتها إلى أن الشريعة والحقيقة وجهان لعملة واحدة، لا يفترقان، وأن التجاني صوفي كبير وازن بين الشريعة والحقيقة في حياته وفي نصوصه الصوفية، وسيبحر في حياة عرفانية سامية، ورحلة فكرية وجدانية تمتد من الخلق إلى الحق.

Abstract:

As-Shari'ah and Al-Haqiqah are two wings with which the traveler flies to Allah. They have an integral relationship that is indispensable to one another. Through both of them together, the disciple goes his way in spiritual life; That is why this research is to clarify what are Shari'ah, Haqiqah? And what's the relationship between them.

Through this research, I also wanted to answer many questions on which our Islamic religion is based, such as: What is the Shari'ah? What is the Haqiqh? What's the reason of the conflict between some Jurists and Sufies? Is there a real conflict between As-Shari'ah and Al-Haqiqah? Does the disciple arrive through in As-Shari'ah alone or in Al-Haqiqah alone or together? Who is Sheikh Ahmed Al-Tijaniyy? What's his heritage? What As-Shari'ah meant to him? and what was its role in his sufism? How was the Haqiqah his principal preoccupation?

Several questions through their answers, The researcher will find that As-Shari'ah and Al-Haqiqah are two sides of the same coin, with no separation, and that Al-Tijaniyy is a great sufi who balanced between As-Shari'ah and Al-Haqiqah in his life and in his Sufi texts. Thus he will sail in a sublime spiritual life, and an intellectual and emotional journey that extends from creation to truth.

المقدمة:

اتفق الصـــوفية جميعًا على حقيقة ثابتة؛ ألا وهي: تلازم الشـــريعة والحقيقة في طريق القوم. فمن أشـــهر ما قيل في هذا: من تفقَّه ولم يتصـــوف فقد تفســـق، ومن تصـــوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. إذن فهما وجهان لعملة واحدة، يشـد أحدهما الآخر ويعضـده، وطريق القوم كما نعلم مشـيدة بكتاب الله وسـنة رسوله، فلا انفكاك بينهما.

فالصـوفيُّ الحق يسـلك طريقًا شـريعيًّا روحيًّا، يلتزم فيه بشـرع الله وبروح التصـوف ومبادئه، فيكون متسلحًا بالشريعة والحقيقة معًا؛ إذ لا تصلح الشريعة بدون الحقيقة، ولا تصـلح الحقيقة بدون الشـريعة؛ فبهما معًا يصـل السـالك. أليس جناحين يطير بهما السالك إلى حضرة الذات ليفنى فيها؟!

ولكن ما الشريعة؟ وما الحقيقة؟ ما سر الخلاف بين بعض الفقهاء والمتصوفة؟ هل حقًّا هناك تضـاد بين الشـريعة والحقيقة؟ وهل يصـل السـالك بالشـريعة وحدها أم بالحقيقة وحدها أم بهما معًا؟ من هو أحمد التجاني؟ ما التراث الذي خلَّفه؟ هل هو من أنصار التصوف السني أم الفلسفي؟ ما الشريعة عنده ودورها في تصوفه؟ ما الطريقة واختلافها عن الحقيقة؟ كيف كانت الحقيقة هي شغله الشاغل؟ هل وصل بعد كل هذا إلى ما كان يصـبو إليه؟ لماذا لم نسـمع عن هذا الشـيخ كثيرًا؟ لِمَ لَمْ يحظ بالدراسـة الجادة من قبل؟ ما نتيجة دراستنا للشريعة والطريقة والحقيقة عنده؟

أسـئلة كثيرة دعت الباحثة للقيام بهذا البحث الذي تأتي أهميته من قيمة الشـريعة والحقيقة، ومن قيمة هذا الشيخ الجليل الذي أثرى التصوف الإسلامي بنصوص عميقة وفهم فريد لما ورد في كتاب الله وسـنته ولما يلاقيه السـالك في طريقه إلى الله تعالى. ولأن النصـــوص الصـــوفية تجربة قابلة للانكشـــاف للوعي؛ فهي قابلة للدراســـة الهرمنيوطيقية والرؤية التأويلية، ولا مبالغة إن قلنا إن التأويلية أو الهرمنيوطيقا هي أجدر المناهج بتفسـير النص الصـوفي، فلهذا كانت دراسـة هذا الموضـوع دراسـة

هرمنيوطيقية تأويلية.

مدخل:

(الهرمنيوطيقا والتأويل):

لا تزال قضـــايا الهرمنيوطيقا وفن التأويل أو النظريات الموجهة إلى القارئ تعتمد على أن العمل الأدبي ليس له وجود فعلي إلا عند قراءته، وأن معناه لا يمكن مناقشــته إلا بقرائه؛ فالتفســير يختلف باختلاف قراءة القارئ للنص؛ فالقارئ هو الذي يفك الشـــفرة التي كتبت بها الرســـالة ويحقق معناها؛ وإلا ظل المعنى مجرد إمكان فحسب. فمعنى النص لا يتشكل بذاته قط، وليس في بطن الكاتب كما ظننا لعقود؛ بل لا بد من عمل القارئ فيه لينتج معنى. وفي هذا تجدر الإشـــارة إلى عبارة "فولفجانج إيزر" (Wolfgang Iser): "إن النصوص الأدبية تحتوي دائمًا على فراغات لا يملؤها إلا القارئ، ويتطلب منا فعل التفسير ملء هذا الفراغ"[1].

فالعملية التأويلية في الهرمنيوطيقا والتأويل معتمدة على القارئ والنص والرســـالة التي تنتج من قراءة القارئ لهذا النص؛ فهو المعنيُّ بالنص وأحق من يتصــوره ويؤوله ويطلق العنان لمخيلته فيه.

ويقول "إيكو" (Umberto Eco): "إن نصًّا في حال ظهور من خلال سطحه أو تجليه اللساني يمثل سلسلة من الحيل التعبيرية التي ينبغي أن يفعِّلها القارئ؛ فهذا السـطح الخارجي للنص يختلف شـكله الباطني باختلاف متلقيه... فالنص يتميز عن سواه من نماذج التعبير بتعقيده الشديد بما لا يقاس. أما علة التعقيد الأساسية فتكمن في كونه نســـيج (ما لا يقال)؛ على أن (ما لا يقال) هذا هو ما ينبغي أن يفعَّل على مستوى تفعيل المضمون؛ وهكذا يكتسب نصٌّ ما حركات تعاضدية فاعلة وواعية من

جانب القارئ"[2]. فالنص ما هو إلا عمل يحوي فراغات عدة غير مرئية وعلى القارئ أن يملأها لتكتمل الصـــورة ويتضـــح المعنى؛ ولهذا فإن كاتب النص يعلم أنه يكتب لقارئ بعينه، قارئ قادر على ملء هذه الفراغات التي تركها وإبرازها إلى السطح.

أما كلمة الهرمنيوطيقا؛ فهي كلمة مشـــتقة من الكلمة اليونانية «هرمنويين hermeneuin» بمعنى «يُفسِّـــر» أو «يُبين». والفعل مشـــتق من كلمة «هرمنيوس» وهي كلمة مجهولة الأصـــل، وإن كان يُقال إنها تعود إلى الإله هرميس رســـول الإله زيوس. وفي اللاهوت المسيحي؛ تشير الكلمة إلى ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المَعْنيّ بتأويل النصـــوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي والسطحي المباشر للنص، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية واستبطان المعنى الخفي للنصوص المقدَّسة، والقواعد التي تحكم التفرُّد المشروع للنص المقدَّس[3].

فالتأويل هو العلم الديني بالأصـالة، والذي يكوِّنُ لبَّ فلسـفة الدين، واسـتكناه معانيه الحقيقية، ويقوم عادة بمهمتين متمايزتين تمامًا: البحث عن الصـــحة التاريخية للنص المقدس عن طريق النقد التاريخي، وفهم معنى النص عن طريق المبادئ اللغويَّة[4].

وارتبطت الهرمنيوطيقا بالتأويل، واكتســـبت من تأويل النص المقدس قدرة متميزة في فهم ما وراءه، وطورت وطبقت هذا على نصـوص أخرى مختلفة؛ حتى إن التأويل أصبح دالًّا عليها وعلمًا خاصًّا بها، فإن قلنا الهرمنيوطيقا فإننا نعني التأويل والعكس.

فعلينا أن نبتعد في اســـتخدامنا للهرمنيوطيقا عن التقليد؛ فعلينا أن ننقل اللفظ من ظاهره إلى معنى آخر باطني يكمن فيه مع الحاجة إلى دليل أو ربط بين ما نقوله وما هو موجود في النص؛ فلولا الدليل ما تُرِكَ ظاهر اللفظ إلى معنى آخر مؤول؛ فالهرمنيوطيقا عالم معاش نحياه كل يوم.

وقد استخدم "هيدجر" هذا المصطلح ليشير إلى أن دراسته في طبيعة الوجود الإنساني هي دراسة ميتافيزيقية (أي هرمنيوطيقية). والكلمة في الوقت الحاضر تعني محاولة فهم العالم لا بوصفه نظامًا ميتافيزيقيًّا، وإنما بوصفه موضوع الفكر والوعي والعقل الإنساني، وبوصفه تجربة معاشة (بالألمانية: ليبنزفلت؛ أي عالم الحياة)، كما أصبحت مرتبطة بالمعنى العميق (والروحي) للنصوص، وتميز الظاهرة الإنسانية عن الظواهر الطبيعية، الروح عن المادة(5).

فالهرمنيوطيقي مفسر ومؤول، يجعل– بفضل معارفه اللسانية– الغامض قابلًا للفهم، وذلك باستبدال الكلمة التي لم تعد مفهومة بكلمة أخرى تنتمي إلى الحالة اللغوية الخاصة بالقارئ الذي يترجم له هذا الهرمنيوطيقي(6).

ووفقًا لـــ"دلتاي" (W. Dilthey) كان "شلايرماخر" يصر على أن من واجب القارئ أن يتصـــل بالمؤلف الذي كتب نصًّـــا معينًا روحيًّا، ويتوحد به ســـيكولوجيًّا، وستكون مهمة المفسر إذن أن يعيد خلق الحالة الذهنية للمؤلف بأكبر قدر ممكن من الدقة، وسيكون التفسير الصحيح هو الذي يأتي به الباحثون الذين أمكنهم أن يضعوا أنفســهم إلى أقصـــى درجة موضـــع المؤلف. فأعلى كمال للتأويل هو أن تفهم المؤلف فهمًا أفضل من فهمه هو لذاته، وهذه هي النتيجة نفسها التي خلص إليها "دلتاي"(7).

ورأي "دلتاي" هذا هو نفس ما ســيذهب إليه "شـــلايرماخر" بتفصـــيل وتنظيم أكثر. ونحن نتفق مع "دلتاي" في الاتصـــــال والتوحد الروحي، ولكن مع النص ذاته وليس مع المؤلف؛ فليس على القارئ أن يقولب نفسه داخل قالب المؤلف؛ بل عليه أن يفهمه دون تقمص لشخصيته أو لنفسيته أو لروحه؛ لأن تقمصـــه هذا سـيؤثر على تحليله ونقده وعلى تأويله أيضًا.

وليس التأويل بعيدًا عن التفسير والفهم؛ بل إنه حالة خاصة من حالات الفهم.

هو الفهم حين يطبق على تعبيرات الحياة المكتوبة؛ فيمكن توقع أن يظهر التأويل بوصفه مجرد مقاطعة ملحقة بإمبراطورية الاستيعاب أو الفهم. وهناك توزيع مختلف لمفاهيم الفهم والتفسير والتأويل قوامه أن الخطاب إذا أنتج بوصفه واقعة؛ فإنه يفهم بوصفه معنى. هنا يستند الفهم المتبادل إلى الاشتراك في عالم المعنى نفسه... فمصطلح التأويل لا ينبغي أن ينطبق على حالة فهم جزئية منفردة، أعني التعبيرات الحياتية المكتوبة؛ بل على كامل العملية التي تحيط بالتفسير والفهم، وينبغي لنظرية التأويل أن تغطي النص بأسره، بما فيه الكتابة والتأليف الأدبي(8).

ولقد استخدم الصوفية كل ما وقعت عليه أيديهم من لغة الحب الإنساني ورموزه؛ بل اتسع مجال اختيارهم حتى شمل جميع جوانب الحياة تقريبًا. فتنوعت رموزهم ومصطلحاتهم، كما تعددت تفسيراتها وشروحها في ضوء وجهة نظر المفسر الذاتية، وشعوره في أغلب الأحيان؛ فهناك رموز استمدت من الكيمياء، وعلم الأحياء، وعلم الفلك، وهناك رموز اقتبست من العلوم النظرية العربية كالنحو والبلاغة فيما يتصل بالتصوف الإسلامي. كما أن هناك رموزًا كثيرة استمدت من الدين، ومعظمها يمثل مقدسات دينية مأثورة أو طقوسًا وشعائر مفروضة. لقد شملت هذه الرموز المعادن، والألوان، والأشكال، والأنغام، والمقدسات الاجتماعية والدينية، إلى جانب استخدام صور الحب الإنساني والزواج. فلقد حولوا الصور الحسية والتخيلات الأرضية إلى وظيفة مقدسة تتناسب مع جلال المهمة والهمة(9).

ونحن أمام نصوص استُخدم فيهما الرمز كثيرًا، خاصة في الجانب الخاص بالحقيقة، فكانت المعاني التي تحتاج إلى التأويل حاضرة في طياتهما، وكان علينا اختيار هذا المنهج لدراسة نصوص هذين المصدرين؛ وذلك للأسباب الآتية:

– تعتمد قضايا الهرمنيوطيقا والتأويل أو النظريات الموجهة إلى القارئ على أن العمل الأدبي ليس له وجود فعلي إلا عند قراءته، وأن معناه لا يمكن مناقشته إلا

بقرائه؛ فالتفسير يختلف باختلاف قراءتنا للنص، والقارئ هو الذي يطبق الشفرة التي كتبت بها الرسالة ويحقق معناها؛ وإلا ظل المعنى مجرد إمكان فحسب. فالنصوص الأدبية تحتوي دائمًا على فراغات لا يملؤها إلا القارئ، ويتطلب منا فعل التفسير ملء هذا الفراغ. فلقد أسهم هذا المنهج في الكشف عن المشاركة الفعالة للقارئ في تأويل العمل الأدبي، وتبيان دوره في العملية الأدبية بدلا من إخفائه وطمسه لحساب النص، وحقائقه اللغوية والاجتماعية والتاريخية، أو لحساب الأديب ونفسيته وبيئته.

– يطرح التأويل إشكاليات جديدة ورؤى مختلفة ومناهج متنوعة، ويحتل اليوم الصدارة في ميدان الأبحاث المنهجية والنفسية والاجتماعية والتاريخية والإنسانية.

– انصب اهتمام فن التأويل على إشكالية وجود الفهم، أو بالأحرى كينونة الفهم، لا بوصفه تصورًا نفسيًّا، وإنما بوصفه تصويرًا لغويًّا يراعي خصوصية افتتاح الكائن على ذاته وعلى الوجود. ولقد كان هذا خير معين لنا عند دراستنا للحقيقة والشريعة في ضوء هذين الكتابين.

– يقوم التأويل عادة بمهمتين مختلفتين: البحث عن الصحة التاريخية للنص المقدس عن طريق النقد التاريخي، وفهم معنى النص عن طريق المبادئ اللغويَّة[10]. والهدف من الهرمنيوطيقا هو أن يُعاد فهم النصوص وتأويلها؛ بنفي المفاهيم التاريخية الاجتماعية الأصلية، وإحلال المفاهيم المعاصرة المرتبطة بالوعي الإنساني، مع ثبات مضمون النص[11].

– ولقد أفادتنا الهرمينيوطيقا والتأويل كثيرًا في مجالات عدة؛ فلقد استُخدمت في تأويل نظرية تفسير الكتاب المقدس، وفقه اللغة العام، والأساس المنهجي للعلوم الإنسانية (الروحية)، وفينومنولوجيا الوجود والفهم الوجودي، وأنساق التأويل التي

يستخدمها الإنسان للوصول إلى المعنى القابع وراء الأساطير والرموز[12].

ولهذا فستتناول الباحثة الشريعة والحقيقة في ضوء الهرمنيوطيقا والتأويل؛ فللقارئ دور كبير في تحليل هذه النصوص، ويزعم أن قراءته لها بنظرة تأويلية سيغير مفهومه عن الشريعة والطريقة والحقيقة؛ بل إنه قد يجد أصله الذي يظل طوال وقته باحثًا عنه.

(التعريف بالشيخ التجاني):

عندما ننتقل للحديث عن (من هو الشيخ التجاني)[13] فنقول: هو أبو العباس أحمد بن محمد التجاني، ولد عام 1737 ميلادية الموافق 1150 هجرية بقرية عين ماضي؛ إذ انتقل جده الرابع محمد بن سالم مع أسرته من أحواز مدينة أسفي بالمغرب الأقصى إلى بني توجين أو تيجانة، وتزوج منهم وصار أولاده وأحفاده يعرفون بالتجانيين. نشأ الشيخ بين أبويه الصالحين نشأة صالحة، وحفظ القرآن حفظًا جيدًا وهو ابن سبع سنوات من رواية الإمام ورش عن نافع، ثم بعد حِفْظِهِ القرآنَ اشتَغَلَ بطَلَبِ العلومِ الأصوليةِ والفُروعيةِ والأدَبِية حتى رَأَسَ فيها وحَصَّلَ معانيها، قرأ على شيوخه كل العلوم الشرعية وعلوم الآلة. مالَ إلى طريق الصوفية والمباحثةِ على الأسرار الإلهية حتى تَبَحَّرَ في فَهْمِ عُلومِها والأحوالِ والمقاماتِ والعِلَلِ والوقتِ والحَالِ، وله أجوبةٌ في فُنونِ العُلومِ؛ فأبدى فيها وأعاد، وحَرَّرَ المعقول والمنقول وأفاد. وفي سنة 1777 ميلادية التقى الشيخ التجاني بكاتبه وخازن أسراره محمد بن المشري الحسني السباعي السائحي، وفي مدينة وجدة وهو قافل إلى فاس التقى بعلي حرازم برادة الفاسي لأول مرة، فتوجها معًا إلى مدينة فاس. وقد كان الشيخ التجاني شيخًا عارفًا بالله، كرَّس حياته للتربية الروحية والأخذ بيد السالكين لترقيتهم إلى أعلى درجات القرب إلى أن لقي ربه في صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة 1230هـ الموافق 1815م وله يومئذ ثمانون سنة، ودفن بفاس رضي الله عنه وأرضاه.

(الشريعة والحقيقة عامة وعند التجاني خاصة):

إن الشريعة والحقيقة مصطلحان وضعا ليرسما حياة الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه؛ الإنسان الذي كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلًا؛ الإنسان الذي حمل الأمانة حين عرضت عليه لجهله بعظمها وشدتها وثقلها.

وقديمًا اختلف المفسرون في كنه هذه الأمانة؛ فمنهم من قال إنها الطاعة، ومنهم من قال إنها الفرائض، وهناك من قال إنها ما أُمِرَ به المسلم وما نُهِيَ عنه، وهناك من قال إنها الصوم وما يخفى من الشرائع... وغير ذلك من الأقوال التي وردت في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72).

ومن اختلاف فهم معنى الأمانة بين المفسرين استقر بداخلي أن هذه الأمانة ما هي إلا الحقيقة والشريعة، ومدى ظهورهما في حياة المرء حال دنياه وما سيصل إليه في أخراه؛ ولهذا فإن من قال إن الحقيقة خاصة بقوم دون آخرين فقد أخطأ خطأً بينًا في ظني؛ إذ إن الحقيقة لا تنفصل عن الشريعة، فهي لكافة من آمن بـ (أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، والاختلاف بين الناس قائم على اختلاف درجاتهم في السلوك والوصول؛ فمنهم من صَعِدَ المرتبة الأولى، وبعضهم لا يزال في المنتصف، وآخرون قبعوا في الدرجات الأخيرة، وهذا يتضح أيضًا من تقسيم السالكين إلى الله إلى عوام وخواص وخواص الخواص عند كثير من العلماء. فهذا دليل على أن كلهم سالك إلى الله تعالى على اختلاف درجته، وكلهم يصيب من علم الحقيقة والشريعة شيئًا.

إذن فعلينا التمسك بالشريعة لنصل إلى الطريقة، ومن الطريقة سنصل إلى الحقيقة؛ فما هي إلا ثمرة لها قشرة ولب ولب اللب، وكل واحد منهم لا انفكاك له

عن الآخر؛ فكلها تشكل الثمرة، وكلها تشكل وجدان المسلم وحقيقة سيره إلى الله تعالى.

إن تأمُّلَ هذا التقسيم يبين أن الشريعة ما هي إلا الإسلام، والطريقة ما هي إلا الإيمان، والحقيقة ما هي إلا الإحسان؛ فلقد جاء في الحديث الشريف «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ. قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[14]؛ فجاء الإسلام للجوارح ليبين عملها وما هي مأمورة به ومنهية عنه، وجاء الإيمان للعقل الذي محله القلب ونوره في الدماغ ليرسخ مفهوم التوحيد لدى المسلم الحق. أما الإحسان فقد جاء للروح التي هي سرٌّ نورانيٌّ مودعٌ في الجسد ومفارقه في آن واحد ليحلّق بها في سماء القرب والمشاهدة؛ فهي درجات للسلوك ومراتب للوصول، ولا وصول لإحداهما إلا بالأخرى. إنها حياة كاملة من جسد ونفس وروح.

وها هو "أبو العباس المرسي" يتكلم عن درجات السلوك فيقول: "أول هذه الدرجات الإسلام وهو الطاعة والانقياد، والقيام بفروض الشريعة. ثانيها؛ الإيمان وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية. ثالثها؛ الإحسان وهو مقام شهود الحق تعالى بالقلب"[15].

فعندما يُنظر إلى هذا النص نظرة تأويلية سنجد أن الأمر يدور هنا حول العمل وأداته الجسد، والمعرفة وأداتها العقل، والشهود وأداته الروح أو القلب على خلاف بين الصوفية في ذلك. فهذا نص يؤكد التعاضد فيما بينهم، فكل وحدة تعضد الأخرى ولا تستطيع الاستغناء عنها كالجسد الذي إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

فالشـــريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصـــده، والحقيقة أن تشـــهده. أو تقول: الشريعة لإصـلاح الظواهر والطريقة لإصـلاح الضـمائر والحقيقة لإصـلاح السـرائر... فإذا تزكى الظاهر وتنوَّر بالشـريعة انتقل من عمل الشـريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة، وهي التصفية من أوصاف البشرية... وإذا تطهر من أوصاف البشرية تحلّى بأوصـــاف الروحانية وهي الأدب مع الله في تجلياته التي هي مظاهره؛ فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب وما بقي إلا حسن الأدب(16).

وقد ســـئل عن معنى الشـــريعة، والطريقة، والحقيقة، وهل هناك تنافر بينهم، فكان مما أجاب به أحدهم قوله: إنَّ الشـــريعة عبارة عن الأحكام المنزلة على ســـيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المستفادة من قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشـــر: 7). والطريقة هي تطبيق تلك الأحكام على أعمال المكلَّف، ظاهرًا وباطنًا، تطبيقًا محكمًا. والحقيقة هي ما يحصـــل للمريد من العلوم والمعارف الناشئة عن أعماله، قال تعالى: ﴿واتَّقوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ (البقرة: 282)(17).

إذن فلا تنـافر بينهم ولا أســـبقيـة لمرتبـة على الأخرى؛ ولا انفراد لمرتبـة دون صـــاحبتها. فكل شـــريعة لا تمتد إلى الحقيقة ففاســـدة ولا يعول عليها، وكل حقيقة لا تحكم عليها الشـــريعة فباطلة ولا يعول عليها كذلك. وإن أردت أن تتربع على عرش الشريعة؛ فيجب عليك أن تصل إلى أصل الحقيقة. فمن رأى الحق في كل شيء، ومن رأى كل شـــيء بالحق هو وحده الذي وصـــل إلى أعلى مراتب الشـــريعة والحقيقة؛ فلقد عبده وعرفه ووجده وشهده فوصل إلى أعلى المقامات واستقر، وقليلٌ ما هم!

وها هو كلام الشـيخ التجاني عن مسـألة الشـريعة والحقيقة، فيقول: "اعلم يا أخي رحمك الله أن علم التصـــوف عبـارة عن علم انقدح من قلوب الأوليـاء حتى اســـتنارت بالعمل بالكتاب والســـنة؛ فكل من عمل بها انقدح له من ذلك علومٌ وآدابٌ

وأسرارٌ وحقائقُ تعجز الألسن عنها، نظيرَ ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامها؛ فالتصوفُ إنما هو زُبْدَةُ عَمَلِ العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العِلَلُ وحُظوظُ النفس، كما أنَّ عِلْمَ المعاني والبيان زبدةُ علم النحو، فمن جعل علم التصوف علمًا مستقلًّا صَدَقَ، ومن جعله عَيْنَ أحكام الشريعة صَدَقَ، كما أنَّ من جعل عِلْمَ المعاني والبيانِ عِلمًا مستقلًّا صَدَقَ، ومن جعله من جملة علم النحو صَـــدَقَ... فمن دقَّقَ النظرَ عَلِمَ أنه لا يَخرجُ شـــيءٌ مِن علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعةِ والشريعةُ هي وُصْلَتُهُم إلى الله عز وجل في كل لحظة... ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة. رَدًّا على من تَوَهَّمَ خُروجَهُ عنهما في ذلك الزمان وغيره، وقد أجمعَ القومُ على أنه لا يَصْـــلُحُ للتَّصَـــدُّرِ في طريق الله عز وجل إلا من تَبَحَّرَ في الشـــريعة وعَلِمَ مَنْطُوقَها ومَفْهُومَها وخَاصَّـــها وعَامَّها وناسِـــخَها ومَنْسُـــوخَها، وتَبَحَّرَ في لغة العرب حتى عَرَفَ مَجازاتِها واسْتِعاراتِها وغيرَ ذلك، فكُلُّ صوفيٍّ فقيهٌ ولا عكسَ"[18].

ويكأنَّ الشريعةَ زَنْدٌ يضرب به السالكُ حجَرَه- أي قلبه القاسي- ويظل يضرب به على قلبه هذا حتى تنقدحَ له علوم الحقيقة ويستقر نورها في قلبه؛ فيستنير ويُنير.

فأعمال الجوارح التي أمرته بها الشريعة ما هي إلا أعمال قلوب إن صاحبتها النية واعتمرها الإخلاص؛ فلكل عمل من أعمال الجوارح عملًا آخر يوازيه من أعمال القلوب، ومثالنا على هذا شعيرة الحج؛ فبالنظر إلى هذه الشعيرة سنجد أنها ليست سفرًا بدنيًّا وأعمالًا ظاهرية فقط؛ وإنما هي سـفرٌ روحيٌّ تغتسـل فيه روح المرء وبدنه؛ فيعود منه طفلًا نقيًّا كما ولدته أمه.

وكان الشـــيخ التجانيُّ ممن تحققوا وجمعوا بين الشـــريعة والحقيقة؛ فتمســـك بالكتاب والســـنة فاشـــتغل بالعلم والحديث والقرآن، وتبحر في غرائب العلوم، ودقائق الفهوم، وجاهد نفســـه بالاســـتقامة والورع، ويئس من كل مخلوق ولم يكن له في غير

مولاه طمع، وغض طرفه عن الأكوان جملة وتفصـــيلًا، وانقطع إلى مولاه وتبتل إليه تبتيلًا، وتخلق بأخلاق الزُّهّاد والعُبّادِ ولم يشغله عن الله شاغل[19].

وها هو يقول: "اعْلَمْ أنّ التَّصَـوُّف هو امْتِثالُ الأمْرِ واجْتِنابُ النَّهْيِ في الظّاهِرِ والباطِنِ مِن حيث يَرضـى لا مِن حيث تَرضـى[20]. واعْلَمْ أنّ علماءَ الشريعة والطريقة لَمّا رَأَوْا أنّ الأهَمَّ والأتَمَّ هو العُروجُ إلى البداية لِيَتِمَّ ظهورُ الكمالات الأسمائية، اشْتَغَلوا في بيانِ ما هو الأهَمُّ مِن كيفيةِ إصـــلاحِ العُروج عاجِلًا وآجِلًا، وكيفيةِ شَـــرائِطِه من الطّهارةِ الظاهِرَة والباطنة بأقصــى الغاية؛ فصَـنَّفوا فيه التَّصـانيفَ، ولم يَلْتَفِتوا إلى بَيانِ كيفية النزول في المراتب اكْتِفاءً على أنَّ معرفة ذلك تَحْصُــلُ بالعروج، قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤا الْإِنْسَـــانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: 13)؛ أيْ بالمنازِلِ والمعارِجِ الأخروية، وظَنَّ الجُهَّالُ أنهم لا يَعرِفون كيفية الحقيقة وأســـرارِها، وأمَّا علماءُ الحقيقة لمَّا عَرَفوا كيفيةَ المَعارِج وأسرارَها بالعروج إلى الوحدة كشـفًا ومشـاهَدَةً اشْـتَغَلوا بغَلَبَة سُـكْرِ الحال في بِنائِها بمقتضى حالِهِم ومقامِهِم؛ فصنَّفوا فيه التّصانيفَ؛ فظنّ النّاقِصون أنَّ ذلك هو الشريعةُ والطريقةُ، وأنَّ ذلك بحسب فُهومِهِم، وحَسِبوا نُفُوسَهُم مُحَقِّقين كامِلين بِتَخَيُّلِ أنَّ نُفُوسَـهُم في مرتبة الحقيقة بمجرَّدِ العِلْم الدِّراسِـيّ والفِكرِ العقلي بلا كشـف ومشـاهدة، فتَرَكوا العَمَلَ بالشـــريعة والطريقة، وهذا غَلَطٌ فاحِش، ولا يَخفى على المتَفَطِّنِ أنه لا خِلافَ بين مســائل الشــريعة والحقيقة؛ فعُلَماءُ الشــريعة تَوَغَّلوا في بَيانِ أحكام الكثرة وإصـــلاحها لِتَرْتَفِعَ الكثرةُ وتَظْهَرَ الوَحْدَة، وهي النهايةُ إلى البداية، وعُلَماءُ الحقيقة في بَيانِ أســرارِ الوَحْدَة وإحاطَةِ الوجود وسَــرَيانِ نورِهِ في المراتب؛ فكلٌّ منهما في طَرَفٍ؛ فالواجِبُ على الصّــادِق أنْ يَسْــتَغْرِقَ في أنوار الحقيقة باطِنًا ويَعْمَلَ بالشــريعة ظاهِرًا حِفظًا للمراتب، وهو الصراطُ المستقيم لاتِّباعِ الرسول (صلى الله عليه وسلم)"[21].

فأهل الحقيقة يبحثون عن الوحدة أولًا؛ فيبدءون من الحق إلى الحق، وليس من

الخلق إلى الحق كأهل الشـريعة والطريقة. والوحدة هي الذات السـاذج كما يعبر عنها أهل التصـوف الإشـاري، والذات السـاذج هو أصـل الذات دون تنوع ودون ظهور الكمالات الأسـمائية وتجلياتها؛ أي إن أهل الشـريعة والطريقة ينشـغلون بالمكوَّنات والأسـماء وتعلقها بالحوادث إلى أن يصـلوا إلى المكوِّن. ولكن أهل الحقيقة ينشـغلون بالمكوِّن لا المكوَّنات؛ فالرحلة عندهم من المكوِّن إلى المكوِّن، من الحق إلى الحق.

ولهذا؛ فإن السالك في كلا الطريقين مختلف؛ فالسالك عند أهل الشريعة والطريقة يكون ما بين تخلٍّ عن القبيح وتحلٍّ بالصحيح ليُـتَجَلَّى عليه بالفيوضات والتجليات فيتم ظهور الكمالات الأسـمائية فيه؛ فيُدبر عن نفسـه ويقبل على خالقه، وبقدر إدباره عن نفسه يكون إقبال الحق عليه. إذن فهو منشغل بإصلاح عروجه وسلوكه إلى الحق جل وعلا. وهذا خلاف ما بينَّاه من انشـغال السـالك عند أهل الحقيقة بالجوهر لا العرض، بالأصـل لا الفرع، وما الأمر إلا تقديمه للسر على النفس والعقل؛ فينشـغل بالحق غير أنه متحقق أيضًا في ظاهره بكل ما أُمِرَ به شريعةً وطريقةً.

والرمز الأسـاسـي هنا هو الوحدة والتي هي المبدأ والمنتهى؛ فهي الحقيقة التي يسـعى الكل وراءها؛ فيظل الإنسـان دائمًا يبحث عن أصـله، ولكن لا وصـول حقيقي دون الكشـف والمشـاهدة، لا وصـول دون المعاينة؛ لئلا يتوهم من كان في علم اليقين أنه وصـل إلى حق اليقين؛ فلكي تصـل إلى الأصـل الذي يسـري نوره في ذاتك وترى أثره في عروجك ونزولك يجب أن تكون مع الشـريعة والطريقة بظاهرك وقلبك، ومع الحقيقة بباطنك وسرك؛ وبهذا تصـل إلى أصـلك وأصـل النور فيك، تصـل إلى الوحدة التي هي عين الحق والحقيقة.

وفي الفرق بين الحقيقة والطريقة والشـريعة قال الشـيخ التجاني: "الحقيقة هي رفع الحجب عن مطالعة الحضرة القدسية، وهي المعبر عنها بالمشاهدة، وعلومها المنسوبة إليها تارة تطلق على ما يبرز للمشـاهد من الحضـرة القدسـية من العلوم والمعارف

والأسرار والفيوض والحكم وأحوال اليقين إلى غير ذلك. وتارة تطلق علوم الحقيقة على ما يلزم العبد في وقت المشـــاهدة من علوم الآداب وعلوم الخطاب، وعلم ما يلزمه اجتنابه في وقت المشاهدة؛ فهذه حقيقة الحقيقة"[22].

فالحقيقة إذن هي أعلى مقام يصـل إليه السـالك؛ فهي الوجه الآخر للشـريعة، والمعنى الباطني الخفي لها؛ ومن هنا يختلف الصـــوفي عن الفقيه، ويختلف المتبع للظواهر عن المتحقق بالبواطن؛ فهما صنوان لا يفترقان.

والشـريعة– كما يقول الشـيخ التجاني– هي الأمر الذي جاء به الشـارع (صـلى الله عليه وسلم) أمرًا ونهيًا، وإباحة ما نص عليه (صلى الله عليه وسلم) ونص الله عليه في كتابه من جميع الأمور، ومما يئول إلى ذلك من استنباط المجتهدين؛ فهذه الشريعة وعلومها. وأما الطريقة؛ فهي واسـطة بين الشـريعة والحقيقة، أو امتداد لهما؛ فإنما هي الشريعة اللازمة لأرباب الوصول والحقائق، وهي غير الشريعة التي يخاطب بها العوام وأرباب الرسوم، وحَدُّها الجامعُ لها هو قولهم: "حسنات الأبرار سيئات المقربين. وعلوم الطريق هي كل علم يدعو إلى انسلاخ العبد من حظوظه وشهواته، وتبرِّيه من مشاهدة حوله وقوته، ومباعدته عن كل ما يقتضي جلب مصلحة لنفسه أو لغيرها، ودفع مضرة عن نفسه أو غيرها بإيوائها إلى جانب الحق سبحانه وتعالى، وبالعلم بكل ما يدعو إلى وقوف العبد مع الله تعالى في صـميم التوحيد، وخروجه عن الغير والغيرية علمًا وعملًا وحالًا وتخلقًا، والرسوخ في مقام الرضا والتسليم، والغرق في بحر التفويض والاستسلام؛ فهذه هي الطريقة وعلومها"[23].

فالطريقة هي الأصول المؤدية إلى الحقيقة، أو فلنقل إنها بداية طريق علم الباطن الذي ينتهي إلى الحقيقة، وهي التعاليم والآداب والتقاليد التي تختص بها، والجامعة سـلوك طريق الحق إلى الله؛ إذن فهي الحياة الروحية في الإسـلام. ولنعلم من كل ما

ذكر أن جماع كل هذا هو الجمع بين الظاهر والباطن، وكما قال أهل الله: اعلم أن كل باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل. وكل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

وكان الشيخ التجاني متشرعًا متحققًا في أقواله وأفعاله فيقول: "إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع؛ فما وافق فخذوه، وما لم يوافقه فاطرحوه"[24]. ويقول عنه تلميذه علي حرازم: "كان كثيرًا ما يجالسه الإنسان فيتكلم له على ما في باطنه وما شغل قلبه من الهوى والأمور الدنيوية، وكان يبهم عن صاحبه ومن حوله ما فعله، كأن يقول ما بال الإنسان يفعل كذا، وحَقٌّ مَن يفعله أن يكون له كذا، سترًا على فاعله كما اقتضته حكمة الرحمة، وجاءت به الشريعة والسنة، إذ البصيرة كالبصر يجب غضها"، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: 30)[25].

(تطبيق المنهج محل الدراسة على بعض كلام الشيخ التجاني):

وسيُطبق كل ما سبق على شرح الشيخ التجاني لأبيات "ابن عربي"؛ فيقول:

وَقَدِّمْ إِمَامًا كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ وَصَلِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ

وقوله: "وقدِّم إمامًا كنت أنت إمامه، معناه: اعلم أنَّ الإمام الذي يلزم تقديمه هاهنا يصحُّ أن يقال فيه هو الشارع (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ويصحُّ أن يقال فيه هو العقل. فأمَّا إن قلنا هو الشارع (صلَّى الله عليه وسلَّم) فمعناه: حيث وصلتَ أيها العبد إلى التطهير بماء الغيب المذكور، وحصلتَ على غايته، وأردتَ الصلاة لربِّك، فقدِّم الإمام الأكبر والقدوة العظمى الأشهر، واقتدِ به في حضرة ربِّك؛ لكونك شاهدت حقيقته (صلَّى الله عليه وسلَّم) هي الواسطة بينك وبين ربِّك، ولم يصل إليك خير إلا منها، ولا مطمع لك في وصول خير من ربِّك خارجًا عن دائرتها. ومعنى: قدِّمْهُ: تأدَّب بآدابه والتزم بمتابعته واجعله قبلة وجهك وتوجيهاتك؛ ليحصل بذلك الرضا من ربِّك. وقوله: كنتَ أنت إمامه: فإنَّك قبل هذا التطهير كنت متقدِّمًا على الشارع (صلَّى الله عليه

وسلَّم) ظلمًا وعدوانًا، تحكم لنفسك بهواك، ولا تسعى إلَّا في متابعة مرادك، ولا يكون لك ولوع إلا بإرضاء نفسك بعيدًا عن الحضرة الإلهية، ومتنائيًا عن الاتصاف بالأوصاف الروحانية، وغريقًا في بحر الظلمة بما بعدت عنه من الأنوار الرحمانيَّة، لا تلم بأحكام الشارع، ولا تلتفت إليها لغلبة الهوى عليك بسريان سمِّه في كُـلِّـيَتِكَ؛ فأنت في الحقيقة عبد مشرك بالله لكونك نصَّبت نفسك إلهًا تعبدها من دونه. فقد قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هذا المعنى: «ما تَـحْتَ قُبَّةِ السَّماءِ إِلَـهٌ يُـعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ»[26]؛ فلذا عبَّر الناظم بقوله: كنتَ إمامه؛ إذ لو كنت خلفه متَّبعًا له لم تخالفه بمتابعة هواك ورضاك من نفسك وسعيك في مرضاتها ومحاباتها، وهربك من مكارهها ومضارها وإن كان في ذلك سخط ربك. وهذا هو التقديم بين يدي الشارع (صلى الله عليه وسلم) المصرح بالنهي عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: 1). وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65). فهذا معنى قوله: "كنتَ أنت إمامه"[27].

فهنا يُلاحظ في شرح الشيخ مزجًا بين الشريعة والحقيقة؛ فبعد أن تكلم عن التطهر بماء الغيب (وهو الفيض الأقدس كما سماه) قال للمريد: "عليك أن تقدَّم إمامًا كنت أنت إمامه بغفلتك قبل أن تكون ذا سر لتكون أهلًا لأن يفاض عليك بماء الغيب فتتطهر؛ فالأمر وهب وليس كسبًا". وأوضح أن هذا الإمام هو الشارع (صلى الله عليه وسلم)؛ فيعرج على حقيقة وراء السطور هنا وهي أنه لا سر للمريد دون شارع وشريعة، ولن تتطهر دون رؤية حقيقة هذا الشارع وتقديمه عليك وعلى ريح نفسك التي تعصف بك؛ فالشارع هو عين الشريعة والحقيقة معًا؛ فهو إمام وأمة، يؤمُّ أرواح المريدين ليصلُّوا فيصِلُوا ويصل بهم إلى حضرة الفيض الأقدس. فمن لم يقدمه (صلى الله عليه وسلم) بما جاء به من الشرع أولًا لن تكون له قدمٌ في عالم الغيب والحق آخرًا.

أما قوله:" لغلبة الهوى عليك بسريان سمِّه في كُلّيتك..." ففيه دلالة واضحة على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: 31)، فليس المشرك وحده من عبد مع الله إلهًا آخر، ولكن المشرك في حقيقة الشرع وشريعة الحق هو من قدم نفسه وجعلها إمامًا له يعبدها من دون الله؛ فغلبته ولم تبلغْه مأمله؛ فكان بغلًا عقيمًا فلا حمارًا صار ولا فرسًا أصبح، ولم يغبَّ من علم الحقيقة؛ بل سيظل في نصب ولغوب؛ فتخطفته طير نفسه وريح هواه وهوت به في غيابات الظلمة ودركات الشهوة؛ فكانت نفسه كالأفعى التي انتشر سمها وخلفت جُرحًا لا ينضم فمُه للبُرْء؛ إلا إن استفاق وتطهر وقدم إمامه الذي أخره لغفلته وهواه.

(وصل صلاة الفجر في أول العصر): معناه؛ صلِّ كصلاة الفجر في أول العصر. الفجر هاهنا هو فجر إيجاد الأرواح؛ حيث بزغت شمسها من حضرة العدم إلى حضرة الوجود، واشتق له اسم الفجر لأن ضياء الأرواح– الذي هو عين الوجود– بزغ من ظلمة العدم كبزوغ الفجر من ظلمة الليل[28].

فقوله: "فجر إيجاد الأرواح"؛ هو دلالة على رجوع المريد إلى أصله؛ فوقتما تجد روحك يبدأ أول عهدك بحقيقة وجودك؛ فمن هنا تبدأ حياتك الحقيقة، ويتفجر نور الحق فيك فيصلك به دون انقطاع؛ فالتقابل بين الليل وظلمته والنهار وضيائه هو تقابل بين ظلمة نفسك واسودادها وانبلاج نور الحق فيك وانبزاغ شمسه بداخلك وظهور نوره منك وعليك.

ولهذا قال الشيخ التجاني: "في أول العصر هو عمر الأرواح من أوَّل نشأتها، يشير إلى حالة الروح وما كانت عليه من كمال الطهارة والصفاء، وكمال معرفتها بالله تعالى، وكمال حبّها لذاته، ونسيانها لكلِّ ما سوى الله، وعكوفها على خدمته والأدب بين يديه، ودءوبها طبيعة جبلية على تعظيمه وإجلاله غير مبالية بغيره. فهذه كانت حالة الروح في أول نشأتها الذي هو أول عمرها، وهو انشقاق فجر إيجادها"[29].

ويقول الناظم: "أيها الطالب، إذا صلَّيْتَ لله تعالى فصَلِّ صلاةً كصلاة الأرواح في أوَّل عصر عمرها عند انشقاق فجرها؛ حيث كانت تامَّة المعرفة بالله تعالى على الحالة المذكورة آنفا؛ فإنَّ ذلك هو اللائق بالحضرة الإلهية لا غير؛ فإنَّك متى مرَّ بقلبك في الصلاة غير الله تعالى فما أنت بِمُصَلٍّ ولا هي صلاة العارفين؛ بل صلِّ صلاة العارفين على حالة الروح في أول نشأتها المذكورة أولًا. فلذا قال الناظم: فهذه صلاة العارفين بربِّهم، ويوجد في بعض نسخ هذه الأبيات: وصلِّ صلاة الظهر في أول العصر، أشار بالظهر إلى أول ظهور الأرواح من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود في أول عصر عمرها، وهو المعبر عنه بالفجر؛ فلذا قال: فهذي صلاة العارفين بربِّهم؛ لأنَّ العارف إذا قام إلى الصلاة نبذ الوجود كُلًّا من وراء ظهره، وأقبل على الحقِّ بكلِّيته ظاهرًا وباطنًا، فلا محبَّة عنده ولا تعظيم ولا إجلال ولا اعتبار ولا وجود ولا وَهْم ولا حس إلا الله سبحانه، مثل حالة الروح كما ذكرت أولًا"[30].

فبالرغم مما قد يظنه القارئ عند قراءته لأبيات "ابن عربي" من أنها مخالفة للشريعة؛ فكيف يكون المأموم متقدمًا إمامه، وكيف ستُصلى صلاة الفجر وقت العصر... وغير ذلك؛ فهذا النص بتأويل التجاني له يؤكد أن النظر إلى النصوص بعين الشريعة وحدها لا يصح، وأنه لا بد من التأويل وإعمال ملكة ما وراء النص داخل النص؛ فالمعنى الظاهري لا يستقيم وحده بدون المعنى الباطني. فالصلاة التي يتقدم فيها المأموم إمامه هي الصلاة التي يرى فيها نفسه، وينشغل بظلمته عن نور ربه وحقيقة مراده من الصلاة.

وصلاة الفجر أول العصر: هي صلاة الطهر التي يجب أن تتقدم عصرك وعمر روحك؛ فتطهر أيها المريد وأزل الظلمة والران عن قلبك لتعود إلى أصلك يوم أن كنت طاهرًا نقيًّا؛ فالصلاة الحقيقية صلاة تكون فيها عارفًا ربك، فانيًا فيه عمن سواه؛ فيسع قلبك فيوضات حبه وتجليات معرفته، نعم صدق الخبر عن رب العزة حين

قال: «إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تَسَعَنِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»[31].

فمن هذا النص العميق الثري، ومما جاد به التجاني من شرح مستفيض، وبه من المعاني ما يحتاج إلى التأويل؛ يتبين لنا حقيقة الجمع بين الشـريعة والحقيقة، وأن الفهم الحقيقي الذي فوته أهل الظاهر– ككثير من الفقهاء– على أنفسـهم يجب علينا أن نتشبث به أينما وجدناه؛ فالدين الحقيقي هو الدين الذي جمع بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، والتفسير والتأويل.

الخاتمة:

إذن فأول درجات السلوك هي الإسلام وهو الطاعة والانقياد، والقيام بفروض الشريعة. وثانيها؛ هو الإيمان وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية. وثالثها؛ هو الإحسان وهو مقام شهود الحق تعالى بالقلب.

ويدور الأمر في الإسلام حول العمل وأداته الجسد، والمعرفة وأداتها العقل، والشهود وأداته الروح أو القلب على خلاف بين الصوفية في ذلك. وهذا يؤكد التعاضد فيما بينهم، فكل وحدة تعضد الأخرى ولا تستطيع الاستغناء عنها كالجسد الذي إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وصدق من قال: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق".

وموضوع المعرفة الحقيقي عند التجاني هو الذات الإلهية؛ فالمعرفة أزلية مطبوعة في الروح التي تلقتها في العالم العلوي؛ فنحن نحب الله حبًّا أزليًّا؛ لأن حبنا لله إنما هو حبه لنفسه في صورتنا، كما أن معرفتنا بالله أزلية؛ لأن إدراكنا له إنما هو إدراكه لنفسه في صورتنا.

الهوامش

(1) انظر: رامان سلدن، ***النظرية الأدبية المعاصرة***. (القاهرة: دار قباء، 1998م)، 167- 168.

(2) انظر: أمبرتو إيكو، ***القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية***. (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996م)، 61- 62.

(3) انظر: عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***. (القاهرة: دار الشروق، 2006م)، 1/ 173.

(4) انظر: حسن حنفي، ***تأويل الظاهريات: الحالة الراهنة للمنهج الظاهراتي وتطبيقه في الظاهرة الدينية***، 384.

(5) عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية***، 1/ 174.

(6) انظر: شرفي عبد الكريم، ***من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة***. (بيروت: الدار العربية للعلوم، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2007م)، 24.

(7) بيتر شتاينر وآخرون، ***موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي8: (من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية)***. (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2006م)، 403.

(8) انظر: بول ريكور، ***نظرية التأويل***. (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006م)، 120- 126.

(9) انظر: محمد كمال إبراهيم جعفر، ***التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا***. (القاهرة: دار الكتب الجامعية، 1970م)، 76.

(10) انظر: حسن حنفي، ***تأويل الظاهريات***، 384.

(11) انظر: نصر حامد أبو زيد، ***نقد الخطاب الديني***. (القاهرة: سينا، 1994م)، 133.

(12) انظر: عادل مصطفى، ***فهم الفهم: (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر)***. (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2007م)، 66- 68.

(13) انظر ترجمته في: علي حرازم، ***جواهر المعاني***. (الرباط: دار الأمان، ط1، 2012م)، 115- 164. وأحمد بن العياشي سكيرج، ***كشف الحجاب***. (الرباط: دار الأمان، ط1، 2012م)، 30- 113. ومحمد بن المشري، ***الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم***. (الرباط: دار الأمان، ط1، 2012م)، 40- 72.

(14) متفق عليه. محمد بن إسماعيل البخاري، ***صحيح البخاري***، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422م)، 19/1. أبو الحسين مسلم، ***صحيح مسلم***، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)،

.30/1

(15) ابن عجيبة الحسني، ***إيقاظ الهمم في شرح الحكم***، (القاهرة: دار المعارف، 1983م)، 9.

(16) انظر: المرجع السابق، 25– 26.

(17) انظر: أحمد بن مصطفى العلاوي، ***أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل***. (مستغانم: المطبعة العلاوية، ط2، د.ت)، 68.

(18) انظر: علي حرازم برادة، ***جواهر المعاني***، 95– 97.

(19) انظر: المصدر السابق، 136.

(20) انظر: السابق، 662.

(21) انظر: السابق، 263– 265.

(22) انظر: محمد بن المشري، ***الجامع***، 227.

(23) انظر: المصدر السابق، 227، 228.

(24) أحمد سكيرج، ***جناية المنتسب العاني***. (القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ط1، 1389هـ)، 1/ 5.

(25) انظر: علي حرازم، ***جواهر المعاني***، 175– 176.

(26) الطبراني، ***المعجم الكبير***. (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1983م)، 8/ 103.

(27) انظر: علي حرازم، ***جواهر المعاني***، 626– 627.

(28) انظر: المصدر السابق، 630.

(29) انظر: محمد بن المشري، ***الجامع***، 795– 796.

(30) انظر: علي حرازم، ***جواهر المعاني***، 630.

(31) انظر: عبد الرءوف المناوي، ***الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية***، (بيروت: الرسالة، د.ت)، 22. (رواه أحمد عن وهب بن منبه).

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن عجيبة الحسني، ***إيقاظ الهمم في شرح الحكم***، (القاهرة: دار المعارف، 1983م).
- أبو الحسين مسلم، ***صحيح مسلم***، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت).
- أحمد بن العياشي سكيرج، ***كشف الحجاب.*** (الرباط: دار الأمان، ط1، 2012م).
- أحمد بن مصطفى العلاوي، ***أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل.*** (مستغانم: المطبعة العلاوية، ط2، د.ت).
- أحمد سكيرج، ***جناية المنتسب العاني.*** (القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ط1، 1389هـ).
- أمبرتو إيكو، ***القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية.*** (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996م).
- بول ريكور، ***نظرية التأويل.*** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006م).
- بيتر شتاينر وآخرون، ***موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي8: (من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية).*** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2006م).
- حسن حنفي، ***تأويل الظاهريات: الحالة الراهنة للمنهج الظاهراتي وتطبيقه في الظاهرة الدينية.***
- رامان سلدن، ***النظرية الأدبية المعاصرة.*** (القاهرة: دار قباء، 1998م).
- شرفي عبد الكريم، ***من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة.*** (بيروت: الدار العربية للعلوم، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2007م).
- الطبراني، ***المعجم الكبير.*** (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1983م).
- عادل مصطفى، ***فهم الفهم: (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر).*** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2007م).
- عبد الرءوف المناوي، ***الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية،*** (بيروت: الرسالة، د.ت).
- عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.***
- عبد الوهاب المسيري، ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.*** (القاهرة: دار الشروق، 2006م).
- علي حرازم، ***جواهر المعاني.*** (الرباط: دار الأمان، ط1، 2012م).
- محمد بن إسماعيل البخاري، ***صحيح البخاري،*** (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422م).
- محمد بن المشري، ***الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم.*** (الرباط: دار

الأمان، ط1، 2012م).

- محمد كمال إبراهيم جعفر، ***التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا***. (القاهرة: دار الكتب الجامعية، 1970م).
- نصر حامد أبو زيد، ***نقد الخطاب الديني***. (القاهرة: سينا، 1994م).

AIN SHAMS UNIVERSITY

AIN SHAMS UNIVERSITY
MIDDLE EAST RESEARCH CENTER
مركز بحوث الشرق الأوسط
MERC

Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal
(Accredited) Monthly

Vol. 103
September 2024

Issued by
Middle East
Research Center

Fifty Year
Founded in 1974

Issn: 2536 - 9504
Online Issn: 2735 - 5233